التعامل مع مرارة الفشل

وطريق الدعوة ليس مفروشاً بالورود والرياحين، وليس سهلاً ولا هيناً وإن سلكه الكثيرون، إلا أنه وعر وصعب، فنفوس الناس تحتاج إلى صبر ومصابرة، ولذا على الداعية أن يوطن نفسه على ذلك، فإن قابله إعراض من الناس، أو استهزاء، أو أذى من أي لون فعليه أن يصبر ويحتسب، ولا يتطرق اليأس إلى نفسه.

وأنتِ واحدة من هؤلاء الدعاة، قد تنجحين مع أول فتاة أو امرأة تتوجهين إليها بالدعوة، فاحمدي الله على ذلك، واسأليه التوفيق والقبول والثبات.

أما إذا فشلتِ، ولاقيتِ الإعراض والصدود والنفور، وربما الاستهزاء والأذى، فإن ذلك يترك مرارة في حلقك، فكيف تتعاملين مع هذه المرارة حتى لا تتسرب فتنزلق إلى داخلك،

وتورثك الفتور واليأس من الإصلاح، ومن ثم الانزواء والتقوقع، وترك المجتمع يمور بالفساد ومعصية الله عز وجل؟

التعامل مع مرارة الفشل يحتاج إلى التبصر والفهم، حتى يتجاوز الداعية هذه العقبة الكؤود، دون أن تؤثر عليه، وسأبين لك السبيل الذي يجعلك تتجاوزين هذه العقبة بأقل قدر ممكن من الإحساس بالإحباط.

أولاً: مراجعة النفس.

فعليك أن تراجعي نفسك، وتستذكري علاقتك بهذه المدعوة التي فشلتِ معها، والخطوات والأساليب التي اتبعتها معها، فقد تكونين قصرت في جانب من الجوانب، وقد تكونين لم تصاحبي الإخلاص في التوجه، والتجرد الخالص لله في دعوتك، فحرمتِ التوفيق. فراجعي نفسك.

وقد تكونين ارتكبتِ بعض المنفرات التي ذكرتها لك من قبل، فكانت سبباً في نفورها وإعراضها.

وقد تكونين أخطأتِ في معرفة مفتاح شخصيتها وأقرب السبل إلى قلبها فاستغلق الأمر عليك...

المهم راجعي نفسك، ولومي نفسك إن وجدت تقصيراً

أو خطأ منك، وهذه المراجعة في حد ذاتها نوع من الإيجابية، لأنها خطوة على طريق النجاح، مع هذه المدعوة نفسها مستقبلاً، أو مع غيرها، والعاقل من استفاد من خطئه.

ثم.. ليس معنى أنها لم تقبل دعوتك أنها صدت صدوداً نهائياً، وأنك فشلتِ معها فشلاً ذريعاً!! لا.. وألف لا.. فهناك ناس يحتاجون إلى فترة من الزمن، وهناك ناس تحيط بهم ظروف تجعلهم ـ الآن ـ غير مهيئين للهداية، فإذا زالت هذه الظروف والملابسات، نبتت البذرة الطيبة التي بذرتها في نفوسهم. فلا تبتئسي ولا تحزني.

ثانياً: تسرية النفس.

وتذكري أن فشلك مع هذه المدعوة ـ إن سلمنا مؤقتاً أنه فشل ـ ليس معناه نهاية العالم، فإن لم تقبل هذه دعوتك، فستقبل الدعوة المئات غيرها. وأنت لست أمهر من نوح ـ عليه السلام ـ الذي رفض دعوته زوجتُه وابنُه، ولست أمهر من رسول الله (ﷺ) الذي تأبى عمه أبو طالب على الدخول في الإسلام، رغم حرص النبي (ﷺ) على إسلامه، ورغم نصرة أبي طالب لهذا الدين بحماية نبيه

ورسوله (ﷺ). ولكِ في هذين النبيين وغيرهما من الأنبياء والرسل والدعاة أسوة وقدوة.

وحسبك بعد ذلك أنك فزتِ بالأجر، أجر العمل والجهاد والصبر والمصابرة، فأنت مكلفة بالعمل، ولستِ مسؤولةً عن النتائج، لأن مفتاح القلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء، فيهدي من كتب له الهداية، ويترك من قدر عليه الهلاك لعمايته وضلاله، وحسبك أيضاً، أنك من عباد الله الذين مدحهم الله بالصبر والجهاد، ومدحهم رسول الله (ﷺ) ورضي عنهم، وقلدهم وسام الغربة، وقلادة الثبات «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء»[1] «لا يزال من أمتي أمة[2] قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[3].

ثالثاً: تَرْكُ هؤلاء.

فمن جربت نفسك معها، واتبعتِ كل السبل، ولم يكن في سلوكك ومنهجك خللاً، ولم تُقبِلْ على الدعوة، ومضت

---

(١) رواه مسلم

(٢) أي: جماعة.

(٣) متفق عليه.

فترة زمنية ليست بالقصيرة، وظهر لك جلياً استعصاؤها على الهداية، فلا تضيعي وقتك معها، فانصرفي عنها ـ ولو مؤقتاً ـ فبعض الشخصيات إن لاحقتها هربت أمامك، وإن تركتها رجعت تركض خلفك وتبحث عنك، هكذا خلقهم الله، فما حيلتك؟ وقد تكون صاحبتك من هذا النوع، التي لا ينفع معها الإلحاح والإصرار والمتابعة، وتحتاج إلى فترة إهمال وإعراض حتى تستيقظ من غفلتها، وتؤوب إلى رشدها.

وأنت بعد ذلك، لا تحزني، ولا تبتئسي ـ حتى لو بقيتْ ضالةً، لأن الله خلق للجنة ناساً، وللنار ناساً وقد تكون هذه من أهل النار!! فإن إبليس اللعين عندما أقسم أمام الله أن يضل بني آدم قال: ﴿**لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً**﴾ [النساء/١١٨] فقد تكون هذه من هذا النصيب، وقد ذكرتُ لك من قبل، أن لله جنوداً ولإبليس جنوداً، فهذه من جند إبليس ونصيبه إن بقيت على ضلالها وقد ورد في الحديث الصحيح المتفق عليه أن رسول الله (ﷺ) قال: «يقول الله: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك! قال: يقول: أَخْرِجْ بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف، تسعمئة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها،

وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»[1]. وبعث النار هو نصيب الشيطان، فلا تحزني عليها ولا تبتئسي لمصيرها، وقد واسى الله نبيه (ﷺ) عندما كان يجد الإعراض من الناس والصدود والاستهزاء فقال له ﴿طسم، تلك آيات الكتاب المبين، لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين، إن نشأ نُنَزِّل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين، وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين، فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ [الشعراء/١ - ٦] وقال له أيضاً ﴿أفمن زُين له سوء عمله فرآه حسناً، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، إن الله عليم بما يصنعون﴾ [فاطر/٨].

وأنتِ عملتِ معهم جهدك، واعتذرتِ إلى الله واسقطتِ واجب الدعوة معهم عن نفسك، فلن يضرك ضلالهم وبقاؤهم على غوايتهم، فلا تذهب نفسكِ عليهم حسرات.

رابعاً: عدم القنوط

وليس معنى فشلك مع واحدة أنك فشلتِ مع الكل،

---

(١) من حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه). اللؤلؤ والمرجان ١٣٣ ص ٥٥ جـ١.

وليس معنى عدم قبولها الدعوة أن الأخريات كذلك، فينبت في قلبك القنوط ويترعرع اليأس.

ولكن جربي مع واحدة أخرى، وثانية، وثالثة، ورابعة ولا تيأسي، ولا تستسلمي، فإن الطريق طويل، والجهاد مستمر إلى قيام الساعة.

وقيامك بهذا العمل ـ على ما فيه من جهد وجهاد ومشقة ـ يتفق مع الأجر الذي ستنالينه، والأجر هو الجنة، وهي سلعة الله الغالية، ومن خطب نفيساً خاطر بنفيس، وأنت تريدين الجنة، والجنة غالية، فلا أقل من أن تبذلي في سبيلها جهدك ووقتك ومهجتك ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله، فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم**﴾ [التوبة/١١١].